

(إقامة أمانة خاصة بمال معين ستلزم الذي يجوز هذا المال بعدة التزامات تهدف إلى استغلاله لفائدة طرق أخرى) (١).

وقد أسهم مثل هذا الوقف بكثير من الأعمال ذات المصلحة العامة، ممثلا في استغلال التبرعات واستثمارها لصالح الجهة المستفيدة التي لا يشترط أن تعين باسمها، بل يكفي أن تحدد بأوصافها: الفقراء، طلبة كلية معينة أو اليتامى وغير ذلك.

هذا عرض موجز للأوقاف عند غير المسلمين قبل الإسلام وما بعده أما الوقف عند المسلمين وأهميته في المجتمع المسلم كما يلي:

ثانيا: تطور نشأة الوقف في الإسلام وانتشاره في الوقت الحاضر:

تطورت الأوقاف لدى المسلمين في صورة لا نظير لها في أمم الأرض، فقد شهدت نموا كبيرا إلى أن باتت ذات أثر رئيسي في كفاية ذوي الحاجات، وتنوعت مجالاتها، فلم تدع ففة من المجتمع تفتقر إلى العون إلا وشملتها بالعناية، يستوي في ذلك الأيتام والفقراء والمساكين والأرامل والمرضى والعجزة والمسنون والمعاقون وطلبة العلم وعابروا السبيل وغيرهم.

(نماذج وقفية عبر العصور)

١ - العصر النبوي:

يروى أن أول وقف في الإسلام كان صدقة الرسول ﷺ التي تمثلت في أراضي مخيريق اليهودي، الذي أعلن قبل معركة أحد أنه إذا أصيب فإن أمواله - وكانت سبعة بساتين بالمدينة - لمحمد ﷺ يضعها حيث أراه الله وقتل مخيريق في غزوة أحد، فأصبحت أمواله في عامية صدقات الرسول ﷺ فأوقفها ﷺ (٢).

٢ - عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:

الرعييل الأول رضي الله عنهم هم أكثر ترسما لخطوات الرسول ﷺ ومتابعة لهديه. فقد حبس أبو

(١) الكبيسي: مصدر سابق. ١٣٩٧هـ، ٣٠/١-٣٢.

(٢) الشوكاني: نيل الأوطار. د - ت، ٢٢/٦.

بكر الصديق ﷺ رباعا له بمكة المكرمة وأوقف عمر بن الخطاب ﷺ الأرض التي أصابها بنجير كما تقدم.
 وأوقف عثمان بن عفان ﷺ البئر التي اشتراها وأوقفها للسقيا. وعلي بن أبي طالب ﷺ بستانا على
 الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل والقريب والبعيد في السلم والحرب. كما أوقف الزبير بن
 العوام ﷺ دوره على بنيه لا تباع ولا تورث ولا توهب. كما أوقف معاذ بن جبل ﷺ داره التي تسمى
 دار الأنصار. كما تبعهم سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وجابر بن عبد الله وعقبه بن عامر
 وعبد الله بن الزبير وأمهات المؤمنين ﷺ.

وتولت أوقاف الصحابة رضي الله عنهم، وسار على نهجهم المسلمون في كل زمان ومكان ينفقون
 أموالهم تقربا لله تعالى راجين رحمته وغفرانه والجنة.

٣ - عهد الأمويين:

لقد أمر الخليفة هشام بن عبد الملك بإنشاء إدارة للأوقاف بمصر، وكانت الأوقاف التي خصصت
 منفعتها للفقراء والمساكين آنذاك بأيدي واقفيها فتسلمها منهم القاضي توبة بن عمر تولى الإشراف
 عليها. ثم تطورت إدارة الأوقاف حتى شملت الأراضي الزراعية والجوانب والبساتين مما أدى إلى اتساع
 نطاق الأحباس وجهات التصدق^(١).

٤ - عهد المماليك:

نتيجة لكثرة الأوقاف والأحباس في العهد المملوكي اضطرت الدولة إلى إنشاء دواوين للأوقاف
 منها ديوان أحباس المساجد، ديوان الأوقاف الأهلية، ديوان أحباس الحرمين الشريفين وجهات البر
 الأخرى كما أنشأ الفاطميون ديوانا عاما للأوقاف بمصر^(٢).

٥ - عهد العثمانيين:

حين تولى العثمانيون الحكم في البلاد الإسلامية، اتسع نطاق الوقف فيها وذلك بسبب إقبال
 السلاطين، وولاة الأمور وأسرهم والمحسنين على الوقف ومن أجل تنظيم الأوقاف وضبط مصارفها،
 أقام العثمانيون إدارات خاصة بها، استمر العمل بها في معظم البلاد الإسلامية بعد انحسار الدولة

(١) أبو زهرة: مجموعة محاضرات في الوقف. ١٩٧١م، ٨.

(٢) أبو زهرة: مصدر سابق. ١٩٧١م، ١٤.

٦ - الدولة السعودية:

بعدها أتم الله الحكم للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - وبعدهما وحد الدولة وأقام حدود الله وشرعه على العباد، ومن أول ما أهتم به هو القضاء والاهتمام بالحرمين الشريفين والأوقاف وكان ذلك حين أصدر مرسوما ملكيا كريما في ٢٧/١٢/١٣٥٤هـ يربط إدارات الأوقاف وفروعها بمدير عام مقره مكة المكرمة. وتلي ذلك تنظيمات كثيرة كلها ترمي إلى الإصلاح من وضع الأوقاف في البلاد حتى تتم الفائدة المنشودة^(٢).

ما تقدم أمثلة موجزة عن تطور الوقف عبر العصور الإسلامية منذ العهد النبوي المبارك وإلى العهد السعودي الميمون. وفيما يلي عرض لأثر الوقف على متطلبات حياة المسلمين.

ثالثا: الوقف وتنمية الحياة الاجتماعية في المجتمع المسلم:

لقد أسهم الوقف في المجتمعات الإسلامية في إنماء كثير من أمور حياتهم الاجتماعية والدينية والتعليمية.

فقد أنشئت بأموال الواقفين مدارس ومعاهد متنوعة مجانية بل وتعطي مخصصات ومساعدات لأسر المتعلمين فيها وخصوصا تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الشريعة والعلوم المساندة وإقامة المستشفيات التي تعالج المرضى لوجه الله.

كما عني الواقفون بوقف الكتب للمكتبات العامة، والمكتبات المدرسية، وفي أروقة المساجد، التي أسهمت بحظ وافر في نشر العلم وبت المعرفة المنبثقة من الكتاب والسنة والعلوم الشرعية الأخرى بين مختلف طبقات أفراد الأمة كبارا وصغارا وذكورا وإناثا وافدين ومقيمين. واتسعت المجالات وتعددت حتى شملت المجالات التالية:-

(١) يكن: مصدر سابق. ١٣٨٨هـ، ١٨٥.

(٢) المنيف: دور أئمة آل سعود في وقف المخطوطات. محرم ١٤٢٠هـ - ١٠ - ١١.